

دلالات المعجم في الشعر التحرري الجزائري الحديث

أ/خميس رضا

قسم اللغة و الأدب العربي

كلية الآداب و الفنون

جامعة أحمد بن بلة- وهران

الملخص

لقد رصدت لنا دلالات المعجم في الشعر التحرري الجزائري الحديث من خلال ألفاظه صورة صادقة لمشهد الحال، كما عبرت تعبيرا أميناً عما يجيش في الذات الجزائرية من إحساسات عميقة و عواطف مؤثرة لها صلة بالتحرير و العدالة وحق الشعوب في تقرير مصيرها. و قد تكشف لنا ذلك عبر المعاجم التالية:- معجم الثورة و الصراع، معجم الأماكن، معجم المعاناة، معجم الصفات و المعجم الديني.

Abstract

Semantics Lexicon In The Algerian Free Poetry Have Spotted Us Through Its Words A Credible Picture Of The Scene Of Course, It Has Also Made Secret Expressions In The Personality Of Algerian Individual Like Deep Sensations And Poignant Emotions Related To The Liberation, The Justice And The Right Of Peoples To Self- Determination. **The Following Lexicons Demonstrate To Us This:**

- Revolution And Conflict.
- Lexicon Of Places- Suffering Lexicon.
- Character And Details Lexicon. -Religious Lexicon.

لقد مثل الشعر التحرري الجزائري الحديث خطابا إعلاميا شعبيا ارتكز على تصوير واقع، آلام و آمال الشعب الجزائري، و مادام أنه ليس هناك حقائق تتجاوز اللغة و دلالاتها، فإن في بنيته المعجمية تكمن قدرة الألفاظ في التعبير عن التجربة الشعرية التي نستشف منها هيمنة خمسة معاجم أساسية، هي: معجم الثورة و الصراع، معجم الأماكن، معجم المعاناة، معجم الصفات و المعجم الديني. و ذلك استنادا إلى العناصر اللسانية القائمة، و إفرزاتها التي انتظمت وفقها البنيات المعجمية مرتكزة على الدلالة اللفظية كدلالة محورية¹.

أولاً: معجم الثورة و الصراع:

ينقسم معجم الثورة و الصراع إلى خمسة أقسام: ما علاقته الوسائل، ما علاقته الأفعال، ما علاقته أطراف الصراع، ما علاقته الآثار و ما علاقته الأهداف. بحيث تعتبر دلالة الثورة و الصراع قاسما مشتركا بين هذه المعاجم الفرعية. و قد جاءت هذه التقسيمات على أساس تسهيل الدراسة.

أ- ما علاقته الوسائل: و يتمثل في الألفاظ الدالة على الوسائل المادية المستعملة في إدارة الثورة و الصراع بين المجاهدين و المستعمر. إذ تعدد الشعراء الإشارة إليها سواء بطريقة مباشرة حقيقية أو بطريقة مجازية، وهم بذلك يجعلون لخطاباتهم مضمونا معبرا عن الفعل و رد الفعل الذي ينقل لنا واقع صورة الصراع بوسائله الحربية الحديثة ممثلة في: (القنابل، الرشاش، النابالم، البارود، المسدس، الرصاص، المدفع، القذيفة، الصاروخ). إلى جانب توظيفه لوسائل الصراع القديمة مثل: (السيف و السهم والرمح ...) .

ب- ما علاقته الأفعال: و يقصد بها الألفاظ الدالة على معاني الثورة و الصراع و حركيتها بين الخصمين المتصارعين لتكون في خدمة صورة الرفض المعبرة عن النضال الشعبي التحرري.

ج- ما علاقته أطراف الصراع: و يقصد بها الألفاظ الدالة على الأطراف المتصارعة ممثلة في الجزائر جيشا و شعبا و جبهة و وطنا من جهة , و فرنسا: الاستعمار، العدو و الخصم من جهة أخرى.

د- ما علاقته الآثار: و يتمثل في الألفاظ الدالة على الآثار المترتبة على الثورة والصراع , وما أفرزته من خسائر مادية و معنوية ناتجة عن الفعل ورد الفعل سواء من جانب الثوار أو المستعمرين.

ه- ما علاقته الأهداف: و يتمثل في الألفاظ الدالة على الأمل المرتجى و المصير المأمول من حركية الثورة و الصراع. و تظهر أهمية هذا المعجم متمثلة في قدرة بنائه على تمثل الحدث الثوري و استيعابه في تجسيد جدلي و ملحمي للحركة التحريرية. كما غلبت عليه ظاهرة المباشرة وأسلوب الحماسة. إذ عبر عن مقاصده بملفوظات أقرب إلى ميدان المعركة منها إلى عالم الوجدان، فغرق في البلاغة الجماهيرية معرضا عن التأمل الداخلي الذي يساهم في إعطاء الثورة أبعاد فكرية جديدة². و نتيجة ذلك جاءت التعابير الحاملة للملفوظات عفوية تحكمها التلقائية المتدفقة ذات الرنين الضخم و الجلبة القوية التي تملأ السمع و تثير الانتباه بقوتها و صريرها³. وقد لفت انتباهنا استخدام ملفوظات السلاح القديم: (السيف، السهم....) في تعبير مجازي يذكرنا بالحماسة العربية القديمة. كما هو الحال في قول مفدي زكريا⁴:

السيف أصدق لهجة من أحرف كتبت فكان بيانها الإبهام

و قول أحمد سحنون⁵:

من فتى كالسهم سباق إلى مورد الحنف ليجنني مبتغاه

هذه الألفاظ التي استخدمت في تعابير مجازية تدل على الارتباط بتراث الأجداد الذين حققوا بهذه الوسائل أمجادا لأمتهم لا تزال حاضرة في ذاكرة الأجيال. و هذا الاستحضار لهذه الملفوظات يجد تفسيره أيضا في محاولة رسم صورة للتعبير تكون موافقة لجو الملاحم الحربية القديمة في مشهد التصوير الفني و إسقاطه على الحاضر

المعيش. و كأن المقاتل الحديث هو أحد فرسان العصور الوسطى الذهبية التي يتيمن بها شعراؤنا. و إلى جانب ذلك يرصد معجم الوسائل أنواع السلاح الحديث المستعمل في الصراع الثوري القائم: (الرصاص، المسدس، المدفع، القنابل، البارود....)، و هي ملفوظات تحيلنا على أجواء التطور الذي تميزت به الحرب الحديثة التي استبدلت وسائل الحرب القديمة و ألغتها من قاموس الصراع الأممي. أما معجم الأفعال فقد استمد ألفاظه من الحياة اليومية المواكبة لسيرورة الثورة وحركية أبنائها، و هي ألفاظ تحكي ما تريده في يسر و بساطة ومباشرة: (الثورة، القتال، الحرب،الثأر).يقول الربيع بوشامة⁶: كل دنياه ثورة و قتال مستحر و مرتمي أكباد و يقول احمد معاش⁷:

سئمو السلم بذل و خنوع فمضوا للحرب من أجل السلام
و يقول محمد العيد آل خليفة⁸:

و أثرن الأبطال للثأر منهم فاستباحوا زروعهم بالحصاد

و يبرز معجم أطراف الصراع موقعا بطابع التضاد و التعارض مؤديا بذلك دوره في تحديد الأقطاب المتصارعة في مسرح المشهد الثوري، و إن كانت هناك ملفوظات تحدد الطرف المتصارع تحديدا مباشرا دون حاجة الى تأويلها في السياق الواردة فيه كما هو الحال في الملفوظات الدالة على ما هو متصل بالجزائر مثل: (الشعب، الجزائر، البلاد،الوطن، جبهة التحرير، مجلس الثورة)، و أيضا الدالة على ما هو متصل بفرنسا المستعمرة مثل: (الاستعمار، فرنسا)، فإن لفظة الجيش دلت تارة على جيش التحرير الجزائري و تارة أخرى على الجيش الفرنسي الغازي، و هي دلالة تفهم من السياق،كما هو الحال في دلالاتها على جيش التحرير الجزائري،كما في قول مفدي زكريا⁹:

يا جيش أضرمتها بساح الوغى على العدو الغاصب الأجنبي

و في دلالاتها أيضا على جيش فرنسا المستعمرة، قول الشيخ الشبوكي¹⁰:

حتى تولى في الملاحم خاسئا جيش السلاحف خاسرا متضععا
و قد كشف معجم الآثار عن تراجيديا الصراع في صور مشاهد خارجية تجسد
ملاحم الواقع الأليم الناجم عن الفعل ورد الفعل الذي يوحى بالرعب و الخوف
واللأمن: (التحطيم، الحريق، الدمار، الخراب، الدمع، الدم، الضحايا،
الإبادة....). و من الصور الواقعية التي عبرت عنها هذه الملفوظات قول
الشبوكي¹¹: أحرقوا سوقها و عاثوا فسادا في حماها و ما رسوا كل منكر
و قول الربيع بوشامة¹²:

و إبادة الشعب الأصيل ليترك الأرض الكريمة للدخيل الوالي
و قد وظفت هذه الألفاظ أيضا في سياق توصيفات مجازية أملاها انفعال الشاعر
وتفاعله مع الواقع الثوري ، كما هو الحال في قول مفندي زكريا مخاطبا الشعب
الجزائري¹³:

و حطم الأغلال و اقذف بها إلى لضى..! يصهر بها الجاحد
و أيضا في قول أحمد سحنون¹⁴:

و لقد رأيتهم منهم ما ساءكم و أصاب عزتكم بعمق الجراح.
و استحضرت معجم الأهداف المفردات اللغوية ذات الظلال الشعبية الغائرة في الوجدان
الوطني: (الحرية، الاستقلال، النصر، الانعتاق.....) بروية تفاؤلية تضيئها اشراقات
الثورة والوعي الجماعي بضرورة التحرر من الاستعمار. و قد جاءت الألفاظ الدالة
صريحة واضحة بعيدة عن التواءات المجاز الإيحائية و الخارقة للمعيار التعبيري التي
ترفع عنها الشعراء بفعل الطاقة التحريرية المتوهجة الباحثة عن التقريرية و المباشرة.
ومن الأمثلة قول أحمد معاش¹⁵:

ولنمضي رغم الخصم لاستقلالنا فلقد ظفرنا منه بالعنوان
و قول محمد الأخضر عبد القادر السائحي¹⁶: وانا لنا النصر... نصر عظيم يسجله
العربي الغضوب

و أيضا قول أبي القاسم خمار¹⁷:

لا سلم لا استسلام في ساحاتنا حرب إلى أن يستبين جلاء

ثانيا: - معجم الأماكن: ينقسم معجم الأماكن إلى قسمين اثنين: ما علاقته الثورة و ما علاقته القومية.

أ- ما علاقته الثورة: و يتمثل في مجموع الألفاظ الدالة على أسماء الأماكن التي لها صلة بالحدث الثوري و الثوار.

ب- ما علاقته القومية: و يقصد به مجموع الألفاظ الدالة على أسماء الأماكن التي تربطها بالجزائر صلة القومية العربية.

يكتسب معجم الأماكن أهميته في الشعر التحرري الجزائري كونه الحيز الذي تجري فيه الأحداث و الوقائع إلى درجة تأثيرها على الإنفعال والمشاعر. فهو بذلك مكان واقعي حقيقي، و ليس مكانا لفظيا متخيلا تصنعه اللغة انصياعا لأغراض التخيل وحاجاته كما في الرواية بل هو عنصر فاعل يخدم مقاصد الخطاب من خلال تجسيد مشاهد من العالم الواقعي، لأن المكان امتداد لواقع الإنسان، و لذلك نجده يفيض إيحاءً يمكنه من خلق إنطباع بالحقيقة. يقول مفدي زكريا:¹⁸

سل (جرجرة) تنبئك عن غضباتها واستقت (شليا) لحظة و (شلعلعا)¹⁹
واخشع ب (وارشنيس)²⁰ إن ترابها ما انفك الجند للمعطر مصرعا
كسرت (تلمسان) الضليعة ضلعه و وهي ب (صبرة) صبره فتوزعا

فالمكان يمس وتر الإحساس المتدفق بالنضال و البطولة و يستوحي و هج

الصراع في مسحة سردية معبرة. يقول أبو الحسن علي بن صالح:²¹

عقدنا لواء النصر فوق (جبالنا) و منها زحفنا للأعادي نحاصر
سلوا (جبل الأوراس) فوق صخوره تحطم جيش الغاصبين المناور
و جرجرة الجبار سله، فإنه لمصرع جند الإحتلال مجاور
و (بوكحيل) في الصحراء سله، فكم له طرائف يستمرى ضداها المسامر

وهو أيضا محلا للأحداث و الوقائع التي جرت على الاستعمار خرابا و دمارا ، فمن مريض الحس التحريري و الموقف الحماسي تختلط ملامح الصراع بقسمات المكان وتضاريسه.

كما شكل المكان القومي ساحة للتواصل و الترابط ، و مساحة تختصر جذور الهوية والتاريخ و المصير المشترك الذي يمثل متنفسا في مواجهة واقع وطني محلي مفروض و مرفوض، فمن نبضاته الحية نستشعر البعد الإنتمائي و الحس الوجودي المعبر عن الذات والشخصية. يقول أحمد سحنون²²:

لي إلى (مصر) هوى يا ليتني طائر يصيح في أفنانكم

نحن في بلداننا في غربة فتشوقنا إلى بلدنا نكم

و يقول أحمد معاش²³:

يا أبا العرب همك اليوم همي كنت في (الشام) أو (عمان) الثائر

كنت في (مصر) و (العراق) المفدى أو (فلسطين) و (الخليج) الزاخر

كنت في (الأردن) العزيز أو (السودان) أو كنت في (الإمارات) آمر

نحن سيان يا أبا العرب في الآمال أو في لظى السقام البواتر

و بذلك يعطي المكان القومي للإنتماء العربي قوته و يقينه و تميزه بمضمون إنساني عميق تزداد حميميته و فاعليته بإندماجه بقضايا الإنسان المثمنة للرجبة الدائمة في استشراف أفق الحرية و الأمل و نبذ الظلم و الاستعباد. و يظهر ذلك أكثر جلاء في التواصل مع فلسطين و اعتبار احتلالها جرحا غائرا في الجسد العربي امتدادا من أرض الجزائر، يقول مفدي زكريا²⁴:

(فلسطين) في صلبنا لحمه جراحاتها في الحشى ثاويه

(فلسطين) في أرضنا بعثها و من أرضنا ترحف الحاميه

و من (أرضنا) نقطة الإنطلاق و ثورتنا حجر الزاويه

حيث يبرز التلاحم بين المكان القومي (فلسطين) و المكان الثوري (أرضنا) راصدا بعد الأفق المعبر عن تواصل الهوية المتزاوجة بدورها مع قواسم النضال المشترك الرفض لكل احتلال و سيطرة أجنبية على الأرض العربية.

ثالثا: معجم المعاناة: ينقسم هذا المعجم إلى قسمين: معجم المعاناة الاجتماعية. ومعجم المعاناة النفسية.

أ- معجم المعاناة الاجتماعية: و يتمثل في مجموع الألفاظ الدالة على الآلام والمعاناة الاجتماعية التي كان يحياها الشعب الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي الغاصب.

ب-معجم المعاناة النفسية: و يقصد بها الألفاظ الدالة على المعاناة النفسية التي كان الشعب الجزائري يتجرع آلامها كنتيجة للواقع الاجتماعي المر الذي كان يحياه في ظل الاستعمار الفرنسي الغاصب.

إذ تعكس مفردات هذا المعجم بقسميه بؤس المجتمع الذي نشأ فيه الخطاب و الزمن الرديء الذي أفضى إلى إفرازه. فهو بذلك مرآة لعصره الذي ينتمي إليه، و منه ينبثق. و قد عبر معجم المعاناة الاجتماعية عن واقع المجتمع بلغة تقريرية مباشرة و واضحة، كما في قول مفدي زكريا²⁵

ففي الحي قوم عراة حفاة
جياع تصارع آجالها
و كذلك في قول الربيع بوشامة²⁶:

و تركتهم شرذا ضماء جوعا لا شئ يعصمهم من الأضرار
كما استخدم المعجم أيضا لغة انزياحية تشخيصية كوسيلة فنية لها القدرة على التأكيد والإيحاء مثل تشخيص ألم الجوع بالعقارب في قول مصطفى بن رحمون²⁷:

عقارب الجوع في جوانحه
و جذوة الهم شبت في حناياه
و كذلك في تشبيه الجهل بالهوان و المنون في قول أبي الحسن علي بن صالح²⁸:

إنما الجهل هوان بل منون
ليس يرضي الجهل الا ذو جنون

و لا شك أن شعرية هذا المعجم قد ارتقت بمضمون الدلالة و بنائيتها إلى مستوى الخلق الخاص حيث يقول الخطاب الشعري ما لا يستطيع أن يقوله الخطاب العادي. - كما تميز معجم المعاناة النفسية بلغته التقريرية المباشرة و الواضحة، كما في قول أحمد سحنون²⁹:

لا تدع حزنك يطردك فكم قرب الحزن نفوسنا من رداها

و كذلك في قول عبد القادر السائحي³⁰:

يا ضاحك العيد، قل لي: ماذا جرى في الوجود ؟

من للسجين البعيد، من الكئيب الوحيد ؟

و استخدم أيضا لغة إنزياحية كوسيلة فنية لها القدرة على التكتيف و الإيحاء، كما في تجسيم الحزن في صورة الحمل الثقيل في قول عبد القادر السائحي³¹: أمل القلوب ...

نبح غزير دافق

يروى الهيب

و يبخر الحزن الثقيل

و أيضا في استعارة النار للدلالة على لواعج الأسى في قول أبي القاسم خمار³²:

منفردا في التيه، في نار الأسى أتلو على دنيا الضنى أناتي

و هذا التنوع في دلالات الملفوظ المعجمي الذي عكس المعاني في تناغم آلي قد أغنى الفضاء المجازي بما رسمه من بنيات تصويرية خرج بها من ضيق التعبير إلى سعة التعاطي مع أفق الخيال و أبعاده.

رابعا: معجم الصفات: ينقسم هذا المعجم إلى قسمين: ما علاقته بالإيجاب و ما علاقته السلب، و هما قسمان متجادلان في علاقة تقابلية بين طرفي النزاع: الشعب الجزائري والاستعمار الفرنسي.

أ- ما علاقته بالإيجاب: و يتمثل في مجموع الألفاظ الدالة على التوصيفات الإيجابية التي

أضفاها الخطاب على الشعب الجزائري بغرض التفاخر و إبراز الفضائل

ب- ما علاقته السلب: و يتمثل في مجموع الألفاظ الدالة على التوصيفات السلبية التي أضفاها الخطاب على الاستعمار الفرنسي و رجالاته بغرض الإدانة و الاحتقار.

و يعتبر معجم الصفات من أهم المعاجم التي أغنت الخطاب الشعري أدبيا و ذهنيا، و فجرت فيه البواعث المجسدة التي قدمت تصويرا تقابليا انعكست على صفحته أحداث العصر من منظور التضاد الرؤيوي المعبر عن صورة الأنا: (الإيجابي) و صورة الآخر: (السلب). كما جاءت ملفوظات هذا المعجم مباشرة و تقريرية و متفاعلة مع الواقع المعيش برؤية واضحة جلية. فمن التوصيفات الإيجابية المتصلة بالشعب الجزائري، صفات: (البطولة، العدل، الصدق، الكرم، الحكمة، الشجاعة..... إلخ). أما معجم الألفاظ الدالة على التوصيفات الهجائية المتصلة بالمستعمر الفرنسي، و الهادفة إلى صبغ كينونة سلبية عليه فيتمثل في: (الظلم، الطغيان، اللصوصية، البغي، اللؤم، الخداع، النذالة... إلخ). و العلاقة بين المعجمين الفرعيين كما نرى هي علاقة جدلية تحمل معاني الصدام الأخلاقي المرتبط بقيم الحياة و الوجود. يقول مفدي زكريا³³: ونحن (العادلون) إذا حكمنا سلوا التاريخ عنا و الكتاب

و نحن (الصادقون) إذا نطقنا ألفنا (الصدق) طبعا لا اكتسابا

و عن أجدادنا (الأشراف) إنا ورتنا (النبل) و (الشرف) اللبابا

(كرام) للضيوف، إذا استقاموا بسطنا في وجوههم الرحابا

و يقول عبد القادر السائحي³⁴: وصيحة تهزنا إلى الفدا تقدموا

و طهروا بلادنا مما أراد (المجرم)

و كلنا إرادة و قوة تصميم

مهما (طغى) عاداتنا مهما تكاثر الدمع

دم دم ، دم دم وحقنا لا يهضم

خامسا: المعجم الديني: ينقسم هذا المعجم الى سبعة أقسام فرعية متصلة به، هي: ما علاقته الممارسات، ما علاقته المعتقدات، ما علاقته العقاب، ما علاقته الجزاء، ما علاقته المناسبات، ما علاقته أسماء الجلالة، ما علاقته أسماء الأنبياء و الرسل.

أ- ما علاقته الممارسات: و يتمثل في مجموع الألفاظ الدالة على الممارسات المنصوص عليها دينيا.

ب- ما علاقته المعتقدات: و يتمثل في مجموع الألفاظ الدالة على المعتقدات الدينية.

ج- ما علاقته العقاب: و يتمثل في مجموع الألفاظ الدالة على العقاب المنتظر من الله لعباده الظالمين.

د- ما علاقته الجزاء: و يتمثل في مجموع الألفاظ الدالة على الجزاء الذي سينعم به الله على عباده الصالحين في الآخرة.

ه- ما علاقته المناسبات: و يتمثل في مجموع الألفاظ الدالة على المناسبات الدينية.

و- ما علاقته أسماء الجلالة: و يتمثل في مجموع الألفاظ الدالة على أسماء الجلالة.

ي- ما علاقته أسماء الأنبياء و الرسل: و يتمثل في مجموع الألفاظ الدالة على أسماء الأنبياء و الرسل.

و قد ارتبط معجم الممارسات الدينية بالواقع الثوري الذي تعيشه الجزائر، و هو واقع اتسم بالصراع و التضحيات الجسام، لذلك كان لترداد لفظتي (الجهاد) و (الاستشهاد) النسبة الأكبر في عملية الإحصاء المفرداتي المرتبط بهذا المعجم. يقول مفدي زكريا³⁵:

و لفته أن (الجهاد) عقيدة طوى الأزل العلوي في صدرها سرا
توزع فيها - (للشهيد) - (شهادة) بها بصمات الرب تطفح بالبشرى
و يقول أحمد سحنون³⁶:

فلم يرهب القوة القاهرة و مات (شهيدا) يوالي (الجهادا)

كما عبر حضور الألفاظ الدالة على أركان الإسلام كممارسات دينية متعلقة بالعبادات عن أصالة دينية مرتبطة بجذور العقيدة الإسلامية. يقول الشيخ الشبوكي مهنا صديقا له بهلال رمضان بمعتقل عين وسارة (1960)³⁷:

هلال (الصوم) حيا بابتسام نفوسا مؤمنات صادقات

ليهنئك يا أخي نفحات فيض مضخمة بأنوار الصلاة

و يقول أحمد معاش معبرا عن اتخاذ الصلاة ملجأ يفرع إليه كل مظلوم³⁸:

ساده بغي و لا يملك ردا غير انكار و دمع و (صلاة)

أما معجم المعتقدات فقد جسد ملامح البعد الإسلامي الروحي المرتبط بالعقيدة (الإسلام، الإيمان، القيامة، الغيب...). يقول مفدي زكريا³⁹:

و الق فيها شعبا عربيا صميمه (الإسلام)

و يقول الربيع بوشامة معبرا عن مبادئ الثورة الجزائرية⁴⁰:

قد غذتها الأمال نورا و ناراً و سقاها (الإيمان) أسمى المبادي

إلا أن إichاءات بعض الملفوظات عبر أحيانا عن أبعاد تأويلية، كما هو الحال في استعارة لفظة (الشیطان) للدلالة على الاستعمار بالنظر إلى أعماله المشينة التي تحاكي أعمال الشيطان، يقول مفدي زكريا⁴¹:

دم الفتوة أذكاها ... و طيرها قذيفه كالردى تذرو (الشياطينا)

و استعارة لفظة (الوحي) للدلالة على الجمال الملهم الذي تتمتع به أرض الجزائر، كما في قول أحمد معاش⁴²:

موطن (الوحي) لا أخالك إلا منبع السحر سرمدا أبديا

أما معجم العقاب و الجزاء فقد عبر عن اعتقاد ديني غيبي متصل بمصير أهل الخير و الشر في الآخرة، و إسقاطه على الصراع الدائر بين الشعب الجزائري المحتل وفرنسا الإستعمارية. كما في قصيدة (جزاء الخيانة) التي نظمها الربيع بوشامة بمناسبة مقتل الخائن (شكال) عميل الإستعمار الفرنسي، حيث يقول⁴³:

سر بـ (شكال) إلى (نار الجحيم) إنه أحقر خوان أثيم

عاش للأعداء عبدا خادما و على الأوطان شيطان رجيم

و أيضا ما نلمسه في قصيدة لمفدي زكريا نظمها سنة 1961 باسم الجزائر الثائرة في حفل تأبين الملك محمد الخامس الذي كان متعاطفا مع الثورة الجزائري، حيث يقول⁴⁴:

أفي السماوات عرش أنت تنشده فرحت تسأل في (الفردوس) جبرينا

فهو يتنبأ له جزاء النعيم في الفردوس بما قدمه من أعمال، و منها وقوفه إلى جانب الثوار الجزائريين في صراعهم مع المستعمر. كما عبر معجم العقاب إيحائيا بدلالة خارقة للمعيار القاموسي المألوف، كما هو الحال في استعارة لفظة (جهنم) للدلالة على وهج الصراع الثوري الذي سيحرق الاستعمار، يقول مفدي زكريا⁴⁵:

و من الذي عرض الجزائر شبها من كل شاهقة لظى تتسعر

أ(جهنم) هذي التي أفواهاها من كل فح نقمة تتفجر

و كذلك استعارة لفظة (الجحيم) للدلالة على عمق الآلام و المعاناة التي يحيها الشعب الجزائري، يقول الربيع بوشامة⁴⁶:

و يعيشون في سواء (الجحيم) عيشة اليتيم و العذاب الأليم

و عبر معجم الجزاء هو الآخر إيحائيا كما هو الحال في استعارة لفظة (الجنة) للدلالة على الوضع السعيد الذي ستكون عليه الجزائر إذا انتصرت الثورة و تحقق الإستقلال، و مثالها قول الربيع بوشامة⁴⁷:

واصل السعي أيها الشعب واصبر إن صبح الآمال في إقبال

سوف تجني أشهى الثمار هناك و تحيا في (جنة) وظلا

أما معجم المناسبات فقد ارتبط بالظروف و الأحوال التي يعيشها الأفراد في كنف الظلم الاستعماري، حيث يستمدون من المناسبة الدينية قوة نفسية تشد أزهرهم و تبعث فيهم العزيمة و روح الأمل، كما في قول أبي القاسم خمار⁴⁸:

(رمضان) جاءك أيها المتجهم فاخضع و ربك بالمتاهة أعلم

و امسك بدينك و العقيدة و التقى فالظلم يذهب و العدالة تسلم
و قد ارتبطت لفظة (العيد) كمناسبة دينية بالشكوى و الألم رغم ما يرمز له هذا اللفظ
من فرح و سرور و ابتهاج، راصدا بذلك المتناقضات في واقع المعاناة المرير، و نافثا
الأمل في النفوس المتألمة. يقول محمد الأخضر عبد القادر السائحي⁴⁹:

يا نائح (العيد) قل لي: علام هذا النواح ؟

يمضي الظلام، و لا بد أن يطل الصباح

و يقول الشيخ الشبوكي⁵⁰: أنت يا عيد نشيد طافح بأمانينا الكريمات الحسان
فيك أطياف تتاجينا بما يبعث النخوة في عمق الجنان

كما جاءت لفظة (العيد) دالة على غير المناسبة الدينية، و في هذه الأحوال عبرت
عن ابتهاج و سرور، كما هو الحال في احتفالية الذكرى الرابعة لاستقلال تونس
1960، حيث يقول مفدي زكريا⁵¹:

في مثل يومك، تكرم (الأعياد) و بيوم (عيدك) يعذب الإنشاد

و أيضا كما هو الحال في الإحتفال باستقلال الجزائر (1962) حيث يقول أحمد
سحنون⁵²:

يوم التحرير (عيد) شامل قد يقام بكل دار (عيد)

و في جانب آخر عبر معجم أسماء الجلالة عن الدعاء من خلال بث الآلام، و رجاء
الفرج و الخلاص من الواقع الاستعماري، يقول أبو القاسم الخمار⁵³:

كم ذا ركعنا في الهجيرة و الدجى و كم ذا دعونا (الله) أيام الشتا

رفقا بنا يا (ربنا) و بأرضنا فإلام نبقى للهوان إلى متى ؟

و يقول أبو الحسن علي بن صالح⁵⁴:

قسما بـ (رب) الصبر إن الصبر ميمون النجاد

رباه نصرا للجزائر إنها ساح الجهاد

أما معجم الأنبياء و الرسل فقد ارتبط بعدة أهداف منها:

- إبراز سلامة المعتقد الديني الإسلامي الداعي الى المحبة و السلام، يقول مفدي زكريا⁵⁵:

- و نحترم الكنيسة في حمانا و نحترم الصوامع و القبابا
و كان (محمد) نسبا لـ (عيسى) و كان الحق بينهما انتسابا
- التيمن بجهاد الرسول (ص) في صراعهم الثوري، كما في قول الربيع بوشامة⁵⁶:
حقق لشعبك غاية الآمال بقوى السلاح و همة الأبطال
و تحف حولك في السلام و في الوغى روح النبي (محمد) و الآل
- الاستغاثة بالرسول (ص) من محنة الاحتلال، كما في قول أحمد سحنون⁵⁷:
يا رسول الله صرنا قوة لا تبالي أي جبار عنيد
لم ينل من عزمنا ظلم العدى عزمنا أقوى من الظلم العنيد
- استحضار ملامح من السرد القرآني المعبر عن قصص الأنبياء و اسقاطها على الواقع المعيش، يقول مفدي زكريا⁵⁸:

و ما دلنا عن موت من ظن أنه (سليمان) منساة على وهمها خرا⁵⁹
ورثنا عصا موسى فجدد صنعها حجانا فراحت تلقف النار لا السحرا
و كلم موسى الله في الطور خفية و في الاطلس الجبار كلمنا جهرا
و أنطق عيسى الإنس بعد وفاتهم فألهمنا في الحرب أن تنطق الصخرا
و كانت لـ(ابراهيم) بردا جهنم فعلمنا في الخطب أن نمضغ الجمر⁶⁰
فالخطاب يعبر بالمغالاة عن معجزة الثورة الجزائرية التي ضاهت معجزات الأنبياء
والرسل عليهم السلام. و من الامثلة أيضا قول محمد العيد آل خليفة⁶¹:

رمانى حول سفحك موج دهري أسيرا بعد أحداث طوال
فعثت به كـ(يونس) في سقام لدى قومي و لكن في انعزال
فالشاعر يشبه حال عزلته في الإقامة الجبرية بحال سيدنا يونس عليه السلام بعد
خروجه من بطن الحوت سقيما عليلا. و أخيرا يمكننا القول أن البنية المعجمية قد

دلالات المعجم في الشعر التحرري الجزائري الحديث أ / خميس رضا
رصدت لنا من خلال الخصائص الدلالية لمفوماتها صورة صادقة للمشهد التحرري،
كما عبرت تعبيراً أميناً عما يجيش في الذات الجزائرية من إحساسات عميقة و عواطف
مؤثرة لها صلة بالثورة و العدالة وحق الشعوب .

الهوامش

- ¹ انظر: أولماستين، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشير، مكتبة الشباب، القاهرة، 1988، ص 62-63.
- ² انظر: مصطفى بيطام، الثور الجزائرية في شعر المغربي العربي، ص 334.
- ³ انظر: محمد الناصر، المحافظة و التقليد في الشعر الجزائري الحديث، مجلة الثقافة، إصدار وزارة الثقافة الجزائرية، العدد 40، السنة 7، 1977، ص 71.
- ⁴ مفدي زكريا، اللهب المقدس، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية.الجزائر، 1973، ص 43.
- ⁵ أحمد سحنون، ديوان، منشورات الحبر، الجزائر، 2007، ص 215.
- ⁶ جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص 220.
- ⁷ أحمد معاش، التراويح و أغاني الخيام، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 26.
- ⁸ محمد العيد آل خليفة، الديوان، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1967، ص 220.
- ⁹ مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 92.
- ¹⁰ محمد الشبوكي، ديوان الشيخ الشبوكي، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص 18.
- ¹¹ المصدر نفسه، ص 20.
- ¹² جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، ص 235.
- ¹³ مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 146.
- ¹⁴ أحمد سحنون، الديوان، ص 82.
- ¹⁵ أحمد معاش، التراويح و أغاني الخيام، ص 47.

- ¹⁶ محمد الأخضر عبد القادر السائحي، ألوان من الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 82.
- ¹⁷ أبو القاسم خمار، ظلال و أصداء، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص 82.
- ¹⁸ مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 66.
- ¹⁹ (جرجرة): سلسلة جبال شاهقة ببلاد القبائل الكبرى. (شليا): أعلى جبل بسلسلة الأطلس الممتدة على الأوراس. (شلععا): جبل بأوراس سجل فيه المجاهدون أنصع صفحات الكفاح.
- ²⁰ وارثنيس: جبل بالجهة الغربية من سلسلة الأطلس.
- ²¹ أبو الحسن علي بن صالح، الديوان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 115.
- ²² أحمد سحنون، الديوان، ص 45.
- ²³ أحمد معاش، التراويح و أغاني الخيام، ص 43.
- ²⁴ مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 384.
- ²⁵ مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 276.
- ²⁶ جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، ص 213.
- ²⁷ مصطفى بن رحمون، الديوان، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص 107.
- ²⁸ أبو الحسن علي بن صالح، الديوان، ص 98.
- ²⁹ أحمد سحنون، الديوان، ص 67.
- ³⁰ عبد القادر السائحي، ألوان من الجزائر، ص 55.
- ³¹ نفسه، ص 40.
- ³² أبو القاسم خمار، ظلال و أصداء، ص 24.
- ³³ مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 38-39.
- ³⁴ عبد القادر السائحي، ألوان من الجزائر، ص 107.
- ³⁵ مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 310.

- 36 أحمد سحنون، الديوان، ص 87.
- 37 محمد الشبوكي، ديوان الشيخ الشبوكي، ص 54.
- 38 أحمد معاش، التراويح و أغاني الخيام، ص 445.
- 39 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 242.
- 40 جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، ص 221 .
- 41 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 225.
- 42 أحمد معاش، التراويح و أغاني الخيام، ص 58.
- 43 محمد الشبوكي، ديوان الشيخ الشبوكي، ص 229.
- 44 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 222.
- 45 نفسه، ص 133.
- 46 جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، ص 200.
- 47 نفسه، ص 186.
- 48 أبو القاسم خمار، ظلال و أصدء، ص 34.
- 49 محمد الأخضر السائحي، ألوان من الجزائر، ص 55.
- 50 محمد الشبوكي، ديوان الشيخ الشبوكي، ص 53.
- 51 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 171
- 52 أحمد سحنون، الديوان، ص 73.
- 53 أبو القاسم خمار، ظلال و أصدء، ص 35.
- 54 أبو الحسن علي بن صالح، الديوان، ص 109.
- 55 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 39.
- 56 د. جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، ص 235.
- 57 أحمد سحنون، الديوان، ص 198.
- 58 مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 306.
- 59 الإشارة هنا الى ديغول المتوكئ على عظمة زائفة.
- 60 اللهب المقدس، ص 120.
- 61 محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 425.